انعكاسات الثقافة الاستهلاكية على المستوى التعليمي والأخلاقي لتلاميذ الطور الثانوي – ثانوية سي الحواس أنموذجا –

د. الخنساء تومي

أستاذ محاضر –أ–

جامعة محمد خيضر بسكرة

elkhanssa.toumi@univ-biskra.dz

تاريخ الإستلام: 2020-11-20 **تاريخ القبول:** 2020-12-21

ـ ملخص: تعد المؤسسة التعليمية مؤسسة تربوية منتجة لتلاميذ لكي يصبحوا عماد الأمة وذخيرتها العلمية وقبلها الأخلاقية، لكن في خضم ما تفرزه وسائل الإعلام من أحزمة ثقافية استهلاكية تجعلهم يبتعدوا عن كل ماله علاقة بالتكوين المعرفي فتتغير المفاهيم بناءا على منطلقات تتسم بالسطحية والنفعية الوقتية فقط، فنجد مفرزات الثقافة المادية تظهر جليا في الأوساط التعليمية بمختلف أطوارها خاصة المستوى الثانوي، الذي يعد على مقربة من التكوين الجامعي. فمن خلال ملاحظتنا ما يحدث في الحرم الجامعي يجعلنا نطرح العديد من الأسئلة التي تتسم بالشغف والفضول العلمي: هل ما يحدث من مظاهر استهلاكية يعد تحصيل حاصل لما حدث سابقا في الطور الثانوي ؟أم هي حالة تطبع وجداني جديدة لوسط علمي جديد ؟

إذن، تأسيسا على ما سبق ستقدم هذه الورقة العلمية معالجة سوسيولوجية لأهم انعكاسات الثقافة الاستهلاكية على المستويين التعليمي والأخلاقي للتلاميذ،فتواجد التلميذ بالمؤسسة التربوية إنما يسعى لتحقيق جملة من الأهداف على مستواه الذاتي بشقيه العلمي والأخلاقي .

الكلمات المفتاحية: ثقافة استهلاكية – مستوى تعليمي – مستوى أخلاقي – التلاميذ

Abstract: The educational establishment is considered as a productive educational institution of students so that they become the nation's pillar and its scientific and moral resource. However, in the midst of what media produces of consuming cultural restraints that make them move away from all what is related to cognitive training, conducting to the change of concepts based on superficial and utilitarian notions. We find that detachments of material culture are evident in the educational environments in various stages, especially in the secondary stage, which is considered as close to the university education. Through our observation of what is happening in university grounds, this makes us ask many questions characterized by scientific passion and curiosity:

Is what is happening of consuming appearances considered as a logic result of what occurred previously in the secondary stage? Or, is it a new character of conscious state in a new scientific environment?

There fore, and based on the above mentioned elements, this paper shall provide a sociological handling of the most important effects of consuming culture on both educational and moral levels of pupils. The presence of the pupil at the educational institution aims only to achieve a certain set of goals on his self scientific and moral levels.

Keywords: Consuming culture - Educational level - Moral level – Pupils.

أولا : الإطار العام للدراسة :

01. إشكالية الدراسة:

تعد مجالات علم الاجتماع متنوعة بتنوع موضوعاته التي تجمع بين فروعه المختلفة ،ويتجسد ذلك جليا في هذه الورقة العلمية التي تجمع بين علم اجتماع تربية وعلم اجتماع اتصال، وذلك من خلال الموضوع المعالج والمعنون ب : انعكاسات الثقافة الاستهلاكية على المستوى التعليمي والأخلاقي لتلاميذ الطور الثانوي .

فالثقافة الاستهلاكية مجال البحث فيها هو علم اجتماع اتصال الذي يجمع بين الدراسة السوسيولوجية واتصالية معا، فكما هو متعارف عليه أن الثقافة هي ذلك الكل المركب من العادات والتقاليد ...حسب تعريف إدوارد تايلور فلما تحمل هذه المكونات وتمر عبر وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيرية تتحول إلى منتوج آخر ألا وهو الثقافة الجماهيرية ومن مخرجاتها الثقافة الاستهلاكية .مستهدفة كل الفئات المجتمعية وبما فيها الشباب خاصة لما يكونوا في مرحلة المراهقة التي تتسم بالمرونة والديناميكية والانتقالية إلى مراحل عمرية أخرى .

وعليه تعتبر المرحلة التعليمية الثانوية مرحلة جد مهمة ،تهتم بالتكوين العلمي والتعليمي والأخلاقي قبلها من قبل مؤطرين، ويعد هذا الموضوع متشعب ويحتاج لبحوث دائمة ومستمرة ضمن العديد من البحوث في مجالات عدة وخاصة علم اجتماع تربية .

اعتدادا بما سبق ،لما تقتحم الثقافة الاستهلاكية هذه المرحلة الحساسة وانتقالية التي ينتقل من خلالها الطالب الثانوي لأن يكون طالب جامعي، يحمل معه أفكار ومعتقدات بناءا على مابنته وقدمته الثقافة الاستهلاكية. وبالتالي ما يعيشه الطالب

الجامعي ما هو إلا تحصيل حاصل لما عاشه في مرحلة الثانوية.فهي تكوين قاعدي وأساسي يبدأ التلميذ فيه معايشة المراهقة بكل حيثياتها .إذن ما يعيشه التلميذ من مراهقة وما يتوافد له من أحزمة ثقافية استهلاكية نفعية مادية تجعله تطرأ عليه تغيرات جلية للوسط الثانوي وخارجه من أسرة وأصدقاء ،فالمجتمع بكل أفراده يلاحظ ظهور بعض المظاهر في الأوساط التعليمية كلها ولم يستطيعوا تغيير كل هذه السلوكيات والمظاهر الوافدة .

إذن، تأسيسا على ما سبق سنحاول إبراز انعكاسات الثقافة الاستهلاكية على الطلبة المراهقين من خلال الإجابة على التساؤل الرئيسي الأتي:

. ماهي انعكاسات الثقافة الاستهلاكية على المستويين التعليمي والأخلاقي ؟

وتتفرع عنه التساؤلات التالية :

. ماهي انعكاسات الثقافة الاستهلاكية على المستوى الأخلاقي ؟

. ماهي انعكاسات الثقافة الاستهلاكية على المستوى التعليمي ؟

.كيف يتم المحافظة على التلميذ الثانوي وفق متغيرات تعكسها الثقافة الاستهلاكية ؟

02. أسباب اختيار الموضوع :

. يعد اختيار موضوع الثقافة الاستهلاكية وانعكاساتها على التلاميذ لم يأتي بمحض الصدفة، فمهما كانت طبيعة العمل البحثي والأكاديمي لابد له من وجود أسباب لهذا الموضوع واهم هذه الدوافع :

. ملاحظتنا الفعالة والهادفة لخطورة ما أفرزته الثقافة الاستهلاكية وأثرت على التلاميذ والشباب بصفة عامة .

. وضع كل المستجدات والتغيرات التي تحدث في المجتمع وأحد أهم مؤسساته تحت المجهر السوسيولوجي والبحث في العلل والحلول وإنقاذ ما يمكن إنقاذه .

03. أهمية دراسة الموضوع :

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية الشريحة التي هي قيد الدراسة فئة الشباب المراهق، فئة التلاميذ من الوسط التربوي وتحديدا الثانوي.وبناءا على أهمية هذه العينة من الدراسة في تحديد مجموعة من الانعكاسات التي أفرزتها الثقافة الاستهلاكية عليهم ،وعليه تتوخى هذه الدراسة معرفة أثار وانعكاسات الثقافة الاستهلاكية على المستوى الأخلاقي والتعليمي لتلاميذ المرحلة الثانوية .

04. أهداف الدراسة :

إن اختيار الباحث الاجتماعي لمشكلة اجتماعية واعتبارها مشكلة تستحق الدراسة؛ يعني أن هناك مجموعة من الأهداف يسعى إلى تحقيقها، وذلك بالتطرق لها في دراسته السوسيولوجية التي هو بصدد إنجازها، وباعتبار دراستنا حول الثقافة الاستهلاكية وما تقدمه للتلاميذ من مظاهر نمطية على المستويين الأخلاقي والتعليمي سنوضح أهم الأهداف المرجو تحقيقها وهي:

. التعرف على ما المقصود من الثقافة الاستهلاكية واهم مظاهرها.

. التعرف على كيفية تأثير الثقافة الاستهلاكية على المستوى الأخلاقي ، فنحن نعلم أن الأخلاق هي أساس تطور الأمم والمجتمعات ،فإذا أثر هذا النوع من الثقافة على العامل والقيمة الأخلاقية للتلاميذ الذين يمثلون قوام الدولة ومستقبلها بالشكل السلبي فما هي أهم الوسائل للحد من استمرارية هذا التأثير .

. الكشف على انعكاسات الثقافة الاستهلاكية على المستوى التعليمي الدراسي بالنسبة للتلاميذ ،فولوج أي شاب إلى أي طور تعليمي الهدف منه هو التكوين العلمي والتحصيل الدراسي بحصوله على أعلى المراتب العلمية والعملية في المستقبل القريب ،لكن بظهور بعض انعكاسات الثقافة المصنعة في شكلها الجديد تجعلهم يبتعدون على أسمى المراتب بتتبعهم المظاهر الفاخرة من اللباس والمأكل والمشرب متناسين دراستهم ونجاحهم العلمي .

05. منهج الدراسة :

يرتبط المنهج بطبيعة الدراسة، فإذا كانت الدراسة تحاول التعرف على ***انعكاسات الثقافة الاستهلاكية على المستوى الأخلاقي والتعليمي لتلاميذ المرحلة الثانوية – ثانوية سي الحواس أنموذجا–*** ، فإن على هذا النحو تُعنى بدراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة الموضوع، فإن من هذا المنطلق يكون المنهج الوصفي أكثر ملائمة للدراسة النظرية والميدانية معا، خاصة لِما يقدمه من أدوات معينة تسهّل جمع المعطيات والبيانات، لتفسير كل ما تصنعه الثقافة الجماهيرية بالتلاميذ ؛ إضافة إلى أنه يوفر للباحثين الجانب الكمي والكيفي والنوعي لهذه البيانات، إذن الدراسة لا تتوقف على الوصف، وإنما تتعدى إلى التفسير والتحليل بالغوص في خبايا الدراسة إجمالا.

ويُعرّف المنهج الوصفي على أنه الطريقة المنتظمة لدراسة حقائق راهنة متعلقة بالظاهرة أو موقف، أفراد، أحداث أو أوضاع معنية بهدف اكتشاف حقائق جديدة أو التحقق من صحة الحقائق قديمة، آثارها والعلاقات التي تتصل بها وتغيرها، وكشف الجوانب التي تحكمها. **(بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني، 2004، ص 168)**

06. المفاهيم الإجرائية للدراسة :

1.6. الثقافة: هي كل ما يميز المجتمع عن أخر من حيث اللغة والعادات والتقاليد.

2.6. الثقافة الاستهلاكية: هي وجه من أوجه الثقافة الجماهيرية وأحد مخرجاتها معتمدة على وسائل الاتصال الجماهيرية في إيصال أفكارها وجعل العالم قرية كونية واحدة تتحكم فيه المظاهر الاستهلاكية المادية بالدرجة الأولى .

3.6. المستوى الأخلاقي: يعد أهم الأركان العملية التعليمة لتنجح في أسمى معانيها فهي حلقة أساسية يجب أن يتوفر عليها كل تلميذ قبل دراسته .

4.6. المستوى التعليمي: يعتبر بمثابة المعيار الذي يحدد مدى نجاح الطالب في دراسته .

ثانيا: الإطار النظري :

01. مفهوم الثقافة الاستهلاكية :

قبل أن نتطرق إلى ما المقصود بالثقافة الاستهلاكية نعرج قليلا لنوضح مصطلح الثقافة، الذي يعد من بين المفاهيم المثيرة للجدل والاختلاف وذلك يبدو جليا بين الأكاديميين والمفكرين على حد سواء؛ فقد استخدمت تخصصات الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلوم الدراسات الإنسانية مجموعة كبيرة من التعريفات، ويُرجِع البعض تطور كثير من التعريفات إلى كونها لا تتميز بالوضوح بين المفهوم من ناحية؛ والأشياء التي يشير إليها من ناحية أخرى، لكن أغلب التعريفات العلمية تشير إلى التعليم والاكتساب كوسيلة لتناقل الثقافة واعتبار الثقافة هي طرائق وأساليب الاستجابة للتحديات التي يواجهها الإنسان في تفاعله مع الطبيعة، ويمكن فهم خصوصية الثقافة باعتبارها تمثل نظام القيم الأساسي للمجتمع. **(حيدر إبراهيم: 1999، ص 98).**

يُعَد مفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم تداولا وشيوعا ومن أكثرها غموضا وتعقيدا، وهو المفهوم الذي تساقطت أمامه جهود الباحثين الذين حاولوا تعريفه وتحديد ملامحه. ولقد وقّع "كلكهون" على مئة وستين 160 تعريفا للثقافة وذلك منذ خمسة وعشرين سنة، ولعل من أقدم التعريفات للثقافة وأكثرها ذيوعا حتى الآن لقيمته التاريخية تعريف "**ادوارد تايلور**" الذي قدّمه في أواخر القرن الـ 19 في كتابه " الثقافة البدائية" عام 1871 الذي تُرجِم إلى الفرنسية سنة 1876 بأن: « الثقافة والحضارة هي ذلك الكُل المركب الذي يشمل المعرفة، المعتقدات، الفن، الأخلاق، القانون، العادات وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع ». **(صالح محمد علي أبو جادو، 1998، ص118)**

كما أوضح "تايلور" شمولية الثقافة على القدرات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع؛ الأمر الذي يجعل أهم عامل في هذا الاكتساب هو القدرة على التعلم من الجماعة. **(محمد عاطف غيث، 1985، ص 68)**

لكن، الجماعة والأفراد في كثير من الأحيان يخلطون بين مفهوم الثقافة الحقيقي والمفاهيم الأخرى، فهم يعتبرونها كل ماله علاقة بالرقص والفن والموسيقى، متناسين

بأن الثقافة في مدلولاتها الحقيقية هي بطاقة تمثل طبيعة المجتمع ومستواه الحضاري والثقافي.

وهذا ما أوضحه "مصطفى بوتفنوشت" في كتابه "الثقافة في الجزائر" بقوله: «يبقى مفهوم الثقافة شاسعا وأكثر عمقا ...أنا اعتقد بأن الثقافة هي وقود فكر لأية أمة ...البلاد ليست إلا مجموعة من الأفراد المجردين من الفكر والذين شكلوا أمة».

(MOSTAPHA BOUTEFNOUCHET : 1982, P. 19)

شاع استعمال مصطلح الاستهلاك في المجالات الاقتصادية؛ حيث عرّفه **"جاك آدم" "J.H. Adam"** بأنه: «القيام بأنشطة الشراء والاستخدام ثم التخلص من الفائض»، تجاريا يُقصَد بالاستهلاك: «النشاط الذي يشبع به الإنسان حاجاته ذلك ويتوقف الاستهلاك على التدخل والنزاعات النفسية وعادات الأفراد»، وبعبارة أخرى فالاستهلاك يتضمن الشراء، استخدام وإشباع الحاجات، وهذه العناصر مترابطة وظيفيا وتتأثر بالجوانب الاجتماعية والنفسية للمستهلك.

(سيف الإسلام شوية، 2006، ص18)

ارتبط مفهوم الاستهلاك بالجانب المادي في معظم الأحيان، بعرض وطلب السلع الخدماتية، لكن وفق المتغيرات الحاصلة على مستوى المنظومة الاجتماعية حتى اقترن بالجانب الثقافي نتيجة التطور التكنولوجي وما أحدثه من تغييرات كثيرة جعلت منه يمس صناعة الثقافة بكل أنواعها بخلق نموذج نمطي يتماشى والسياسيات الإيديولوجية لمالكي هذه الوسائل ومؤسساتها.

هذا في مفهوم الاستهلاك ،أما الثقافة الاستهلاكية هي أحد مخرجات الثقافة الجماهيرية ويقصد بهذه الأخيرة التي عرّفها "جمال العيفة" في كتابه "الثقافة الجماهيرية عندما تخضع وسائل الإعلام والاتصال لقوى السوق" هي «المواقف الجديدة التي تنشرها وسائل الاتصال والإعلام لدى الجماهير الواسعة وبصفة اصطناعية وتمتاز بأنها ثقافة مصطنعة تخضع لمقاييس السوق وفق مبدأ العرض والطلب وظهرت بظهور وسائل الاتصال الحديثة». **(جمال العيفة، 2003، ص 45)**

تُعد وسائل الإعلام الجماهيرية الوسيلة الأساسية التي تنقل من خلالها كل الأفكار الموجودة بالمجتمع، لتخلق منها ثقافة تتماشى وكل الأذواق بغض النظر إذا كانت هذه

المادة ذات مستوى عالي أم هابط، شريطة أنها تخضع للقوانين التي تصنعها الشركات متعددة الجنسيات وما تحاول أن تفرضه من أفكار وإيديولوجيات معينة، فوسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية يتماشون معا، فلو لم تتطور كل التقنيات الصناعية ما ظهرت الثقافة الاستهلاكية المصنعة.

فالثقافة الجماهيرية حسب "فيليب بروتون" هي مثل كائن سوسيولوجي: هي جسم مركب من أبعاد، رموز، أساطير، وصور تخترق الفرد في أعماقه ، تنظم أفعاله وتوجه مشاعره، هذه الثقافة تحتوي على نظام خاص هو جزء من تركيبتها الخاضعة لمقاييس الإنتاج الصناعي، والمنبثة عبر وسائل الإعلام لصالح أعداد ضخمة وهائلة من الأفراد، تأتي لتُضاف إلى الثقافات الموجودة من قبل؛ كالثقافة الإنسانية، الدينية والقومية.

(PHILIPPE BERTON ET AUTRES: 1993, p154)

فقد نجحت وسائل الإعلام على سبيل المثال في الترويج للأفكار والقيم الغربية وإقناع الجماهير بها من خلال المسلسلات والأفلام والأغاني، في مقابل التجاهل المتعدد وتسطيح الثقافة العربية الإسلامية، والمدهش في الأمر هو تبني قاعدة كبيرة من هذه الجماهير لهذا الكم من القيّم باعتبارها نمطا في سلوك حياتهم اليومية، وأصبحت هي النموذج الذي يُتبّع بالتخلف والرجعية، ويعتبر هذا نموذجا من مفهوم السيطرة الذي قصده "جرامشي" مع وجود نماذج متعددة تمارسها مؤسسات مختلفة.

(طه عبد العاطي نجم، 2005، ص 80)

يُعَد التزاوج بين الإنتاج الجماهيري والثقافة أمرًا حتميا في عالمنا المعاصر، لقد أصبحت الثقافة سلعة متداولة وقابلة للتسوق ووسيلة إعلانية فعالة، وفي نفس الوقت أصبح الاستهلاك والشراء والتسوق أنشطة ثقافية بالدرجة الأولى؛ بل وفعالة في حد ذاتها، حتى إن البعض يُبرهن على أن الثقافة الاستهلاكية باتت أكثر أهمية من الدور الذي نقوم به في العمل والإنتاج؛ فهي غير قادرة على تحَدي هويتنا ومكاننا في هذا العالم، وإذا كان ذلك حقيقة فإن تحولا جذريا اجتاح العالم وغَيَّر من طبيعة الحياة الاجتماعية في العالم المتقدم، فكيف حدث ذلك ؟

(أحمد مجدي حجازي، 2008، ص 205)

تعتبر الثقافة من الرموز الخاصة بالإنسان والاستهلاك تعبِّر عن الجانب المادي الخاص به أيضا، مصطلحين متباعدين ليلتقيا عند الإنسان العامل المشترك بينهما، وهذه الازدواجية بين المفهومين نتيجة التغيرات الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية حوّلت السلوك الإنساني إلى سلوك يتجاوز استخدام السلعة ليتم التطبع بسلوكيات غريبة وبعيدة كل البعد عن الثقافة والهوية الجزائرية، وهذا ما دفع علماء الاجتماع للبحث حول هذه المواضيع المتشبعة التي تمس مجالات عدة.

فالفرد المستهلك يصبح من تواصل مستمر مع كل السلع الاستهلاكية المعروضة، في المقابل لما يلاحظ باقي الأفراد يستهلكون وهو لا يستهلك سيشعر بأنه غير متشبع اقتصاديا، ثقافيا واجتماعيا؛ مما يدفعه لاقتناء كل السلع المعروضة خاصة منها الماركات العالمية، ومن ثم تتحول جُل العلاقات إلى علاقات بين الأشياء لا بين الأفراد.

وفي هذا الصدد يقول **"ماركوس"** في كتابه "التحليل الآتي للاستهلاك": إن المستهلكون يرون أنفسهم في السلع التي يستعملونها؛ حيث يجدون روحهم في سياراتهم وفي حجم وشكل منازلهم وفي الأجهزة التي يستعملونها، فالميكانيزمات التي تربط الفرد بمجتمع قد تغيرت". **(سميرة سوسطاح، 2009، ص 30)**

02. خصائص الثقافة الاستهلاكية :

أوضح **"أحمد مجدي حجازي"** **(2008، ص211)** بأن أهم الخصائص والمميزات التي تميز هذا النوع من الثقافة وهي كالآتي :

. هي من صُنع قِوى السوق تمتلك وسائل التأثير وتستخدم أسَاليبًا علمية وفنية لترويجها.

. تعمل على خلق جوانب المتعة في الشراء.

. تتوجه نحو استهلاك المعاني والصور والخبرات وتخلُق فنونا مواكبة لها وبذلك فهي تتجاوز البُعد الاقتصادي للمعنى القديم للتسويق فهي تستخدم فنونا مثل الموسيقى والغناء والإعلانات والتصوير.... لتدعيم تلك الثقافة بعد نشرها.

. أنها تخدم الحضارة الرأسمالية وقِوى السوق المعَولم والذي يتحكم فيه من يملك قوى التأثير الثقافي.

. تخلُق تطلعات ونزعة الاستهلاك وتُوفَر بأساليب وطرائق متباينة تُسهّل عملية الإشباع للمستهلك في سبيل تحقيق أهداف دعم هذه الثقافة.

. تعمل على تقديم نوع من التميُز والتفوق للمستهلك يُشعِره بحاجاته إلى اقتناء السلع والميل للشراء؛ ومن ثم تزيد من تطلعاته الاستهلاكية بغض النظر عن حاجاته إلى تلك السلع المرغوب في اقتنائها أو الهرولة في البحث عنها. تعمل على تسكين وبقاء المستهلك في دائرة الاستهلاك.

. تملك من وسائل الضغط وأساليب القهر (الخفي) ما يجعل المتطلعين إلى الاستهلاك راغبين فيه وباحثين عنه؛ حيث يشعرون بأن تمييزا اجتماعيا وحراكا نحو مكانة عليا يتحقق.

من خلال ما تَقدَم تتضح إشكاليتان تُشكِّلان موقفا متناقضا ويصبح السؤال الأكثر أهمية عند صانعي تلك الثقافة ومروجيها هو: كيف توجد بين الناس ثقافة عالمية واحدة تزيدهم رغبة وميلا وطموحا نحو اقتناء كل ماهو مصنَع ومُتداول في الأسواق، وكل ما يمكن تصنيعه وفرضه على المستهلكين؟.

(أحمد مجدي حجازي، 2008، ص 211)

03. مرحلة الثانوية (مفهومها –أهميتها):

تعتبر مرحلة الثانوية من أهم المراحل التعليمية وأخطرها على الإطلاق، مرحلة تجمع مابين عدة دلالات وأمور جد مهمة في حياة التلميذ.الذي يعيش مرحلة المراهقة بكل حيثياتها وتقلباتها، دراسة، ضغط، مرحلة انتقالية حساسة وفوق كل ذلك نجده مستهدف لاختراق وإستيلاب ثقافي خفي دون الفهم ما المقصود به .

وعليه تعد هذه المرحلة نقطة تحول بارزة وأساسية في حياة الإنسان وهي مهمة لأنها تتحكم في مصير الأمة ومستقبلها ،فالشباب اليوم (إناث. ذكور) أساس الغد ،وعماد البناء الاجتماعي والاقتصادي والقوة القادرة على التشييد المدني والعمراني ،ولا شك أن مرحلة الثانوية من المراحل المتميزة في حياة التلاميذ فهي التي تعد التلميذ لأن

يكون فردا صالحا في مجتمعه ،وإنسانا مستقيما في سلوكه واجتياز التلميذ لهذه المرحلة بسلام يعني أنه سوف يمضي في حياته متزنا في تصرفاته و انفعالاته ذات شخصية سوية . **(عبد الكريم منصور ناصر، 2010، ص 73)**

تأسيسا على ما سبق تبرز أهمية هذه المرحلة والدور الأساسي للأسرة وللأساتذة وكل الإطارات التربوية بضرورة مراقبة التلميذ ضمن التكوين الثانوي ،والوصول إلى تربية أخلاقية علمية تربوية ناجحة ،خاصة وان مرحلة المراهقة حسب **"دو بيس " De besse** على أنها :"تحولات جسمية ونفسية تحدث مابين مرحلة الطفولة ومرحلة الرشد " . **(De Besse :1971, p.8)**

وبما أنها مرحلة تكوينية دراسية ،تجد كل الأطراف من أسرة وثانوية وأساتذة موجه تركيزهم للدراسة والحصول على معدلات عالية متناسين ما تفعله بهم وسائل الاتصال الجماهيرية بفكرهم وأسلوبهم ومظاهرهم ،ويتلخص ذلك في مصطلح الموضة .

فالموضة تعتبر أهم سِمة من السِمات المميزة للثقافة الفرعية الخاصة بالشباب المراهقين ، فهي تقدم لهم اجتماع وانتماء اجتماعي لفئتهم العمرية عن طريق القبول والمساواة فيما بينهم، لتعبر عن استقلاليتهم و فردانيتهم المجتمعية، كما تُضفي صبغة الانفتاح على ثقافة الآخر بغض النظر إذا كانت تحمل في طياتها إيجابيات أم سلبيات، وهذا كله ينطوي على دلالات الاختراق والغزو الثقافي الذي يعارض الثقافة الفرعية ويعمل على انسلاخها.

فالنمو الكبير للثقافة الجماهيرية والتي تتصف بالسطحية والظرفية والتي أخذت تثأر لنفسها؛ حيث أصبحت مركز اهتمام المستثمرين؛ في حين أخذت الثقافة المدرسية والعلمية، والتي كانت وراء كل تقدم تتراجع ليقتصر انتشارها على نوادي ضيقة يعاني أصحابها من الشعور بالعزلة، وما يُلاحَظ على هذه الرؤية التي شكّلَتها الثقافة الجماهيرية أنها تدفع بالإنسان للابتعاد عن حاجاته الحقيقية ليتبَع الأوهام والتفاهات والشكليات في المأكل والملبس. **(قزية الشوفي، 2005، ص 30)**

ثالثا : الإطار الميداني :

01. مجالات الدراسة (المكاني – الزماني):أجريت هذه الدراسة بثانوية سي الحواس – بني مرة – والتي أنشأت بعد دراسة ملف المقدم من طرف ممثلي مصالح مديرية التربية لولاية بسكرة قررت اللجنة الوزارية إنشاء المؤسسات ف جلستها المنعقدة يوم 19- 08- 2015 إنشاء ثانوية سي الحواس نوع 100-300 (تعويضية) نظام نصف داخلي. عوضا للمؤسسة القديمة حيث تم تحويلها لمركز تكوين مهني .وهذا ماتم تقديمه أثناء مقابلة تم إجرائها مع مدير الثانوية الأستاذ عمر بن تركي بتاريخ 2017-09-20.

أما المجال الزماني الذي أجريت فيه الورقة البحثية كان بداية من يوم 20سبتمبر حتى 25سبتمبر وقد تلقينا مجموعة من التسهيلات التي ساعدتنا في إنجاز العمل سواءا من المدير أو مساعديه مما سهل إتمام العمل في وقت وجيز .

02. أدوات الدراسة : اعتمدت الباحثة على 3 أدوات لجمع البيانات اللازمة حول الموضوع ،أولها كانت الملاحظة لملاحظة كل المظاهر التي تنتج على الثقافة الاستهلاكية ومدى تأثيرها على التلاميذ وهذا ما قمنا به أثناء توزيع الاستمارات .ثاني هذه الأدوات المقابلة التي أجريت بداية مع المدير وشرح أهم السلوكيات الموجودة بالمؤسسة ومدى صرامته مع التلاميذ هو والمراقبين المتواجدين بنفس المؤسسة.إضافة لمقابلة بعض التلاميذ وطرح بعض الأسئلة عليهم وقد لقيت إقبال كبير لدراسة مثل هذه المواضيع كونها تهتم بمشاغلهم والعمل على المحافظة على مستواهم التعليمي والأخلاقي.

أهم هذه الأدوات هي الاستبيان، الذي احتوى على 08 أسئلة، حيث انقسم على ثلاث محاور، شكل المحور الأول محورا خاصا بالبيانات الشخصية،والمحور الثاني بالمستوى الأخلاقي، أخير محور يهتم بالمستوى التعليمي .

03. العينة : تعتبر العينة مرحلة جد مهمة توضح طبيعة الشريحة التي سنتعامل معها، ولما اتصلنا ببعض المراقبين تبين بأن العدد الإجمالي للمؤسسة لم يتم ضبطه لحد الآن، بسبب التحويلات الداخلية والخارجية و انسحاب بعض التلاميذ ...ومع ذلك قدموا

لي إحصائية تبين عددهم الإجمالي لحين إستكمال التحويلات ب 472تلميذ وتلميذة. وبما أن مجتمع الدراسة واضح ومعروف فقد اعتمدت على عينة عشوائية بسيطة، وبلغ عدد أفراد العينة 60 مفردة .

04. خصائص العينة :

4-1 سن العينة : بناءا على المعطيات المقدمة من طرف الثانوية يتروح سن العينة ككل مابين 17 سنة و19 سنة .

4-1-2- جنس العينة: سجلت الثانوية عدد 217تلميذ وعدد التلميذات بلغ 254طالبة .وأما العينة التي انتقيتها عشوائيا بلغ عدد التلميذات 45تلميذة و15 تلميذ .فالتلميذات أثناء توزيع الإستبيان بينوا تفاعلهم مع الموضوع وكذا عددهم الكبير داخل الثانوية .

05. الأساليب الإحصائية المعتمدة: اعتمدنا على النسب المئوية والتكرارات للاطلاع على معدل إجابات أفراد العينة والمقارنة بينها .

06. تفريغ وتحليل البيانات :

6-1- تفريغ بيانات المحور الثاني : الخاص بالمستوى الأخلاقي

جدول (01): يوضح مدى إستماع التلاميذ للنشيد الوطني :

	ت	%
نعم	50	%83،33
لا	10	16.66%
المجموع	60	%100

ما نستشفه من هذا الجدول هو حضور الطلبة للنشيد الوطني بنسبة 83.33%وهو أمر جد مفرح ينم على مدى أهمية هذا الرابط القوي بين التلاميذ وحسهم بمجتمعهم واحد رموز السيادة الوطنية في حين تدل نسبة 16.66%على عدم حضورهم بسبب التأخير وهو ما يحاول منعه القانون الداخلي للمؤسسة .

جدول رقم (02): يوضح المكان الذي يرتدي فيه التلاميذ للمئزر:

	ت	%
بالمنزل	35	58.33%
خارج أبواب الثانوية	25	41.66%
المجموع	60	100%

ما أوضحه الجدول رقم (02) أن التزام التلاميذ بلبس المئزر في بالمنزل مثلته نسبة 58.33 %وهذا أن دل فإنما يدل على مدى انضباط هذه المؤسسة وحرصها على إلزامية ارتداء المئزر على كلا الجنسين ،لكن بملاحظة بعض التلاميذ وبشهادة المراقبات المتواجدات بالثانوية يوضحن أن لبس المئزر بشكل كبير لدى الإناث عكس الذكور الذين يلبسونه خارج أسوار المؤسسة وهذا ما أثبتته نسبة 41.66 %والسبب هو استعراض السراويل من نوع الجينز وحتى الألبسة الرياضية للتباهي بمثليهم من المشاهير واللاعبين الكبار لكرة القدم ويعد هذا النمط أحد أوجه الثقافة الاستهلاكية المنتشرة بين الشباب لكن في هذه المؤسسة يعد قليل وهذا بشهادة المدير ومدى صرامته في إتباع كل ما يهم التلميذ حتى انه صرح لي قائلا في المقابلة التي أجريتها معه انه التلاميذ يسمون المؤسسة" **بو لحباس** "بدلا من **سي حواس** وهذا بسبب الصرامة والانضباط الكبيرين .

جدول رقم (03): يبين مدى جلب التلاميذ للهواتف الذكية داخل المؤسسة :

	ت	%
نعم	40	66.66%
لا	20	%33,33
المجموع	60	100%

ما نستخلصه من الجدول رقم (03)أن التلاميذ يجلبون هواتفهم وخاصة الذكية منها للثانوية بنسبة 66.66%،ويستعملونه في فترة الراحة أو في المراحيض خلسة وحتى في حصص الفراغ،حتى انه بعض المراقبين صرحوا بأن مشكلتهم الهواتف وسماعاتها (كيتمان) وانه معظم المشاكل تأتيهم من الهواتف لأنهم لم يستطيعوا

السيطرة عليها .في حين بعض التلاميذ لا يجلبونها بنسبة33.33 %بسبب تخوفهم من العقوبات الداخلية للمؤسسة .فحسب المادة 30 من القانون الداخلي يمنع منعا باتا التدخين واستعمال الهاتف النقال داخل الثانوية.

جدول رقم (04): يبين أهم الأنشطة التي يزاولها التلاميذ في نهاية الأسبوع:

	ت	%
حل الواجبات المدرسية	15	%25
مشاهدات الأفلام والمسلسلات	20	33.33%
التواجد بشبكات التواصل الإجتماعي	25	41.66%
المجموع	60	100%

من خلال الجدول رقم (04) يتبين لنا أن مواقع التواصل الاجتماعي مسيطرة على حياة وثقافة التلاميذ بنسبة 41,66%لما تحمله من ثقافة مادية نفعية تتميز بالوقتية وتأثر على حياتهم وطريقة تفكيرهم ،فيما احتلت متابعة التلفزيون المرتبة 2 بنسبة 33.33%وتحضير الواجبات بنسبة 25%على أساس أنهم يقومون بحلول الواجبات المدرسية لما يرجعون للبيت لكي لا تتراكم عليهم الواجبات ويستغلون نهاية الأسبوع في تتبع شبكات التواصل والتلفزيون .

5-2 نتائج المحور الثاني : الخاص بالمستوى التعليمي :

جدول رقم (05): يبين مدى انضباط التلاميذ على النوم باكرا وتفادي السهر :

	ت	%
نعم	45	%75
لا	15	%25
المجموع	60	%100

ما أدلته نتائج الجدول رقم (05)أن التلاميذ مواظبين على النوم باكرا بنسبة 75%وهذا أمر ايجابي يدل على مدى حرصهم على دراستهم والحضور في الوقت المناسب، في حين بينت نسبة 25%عدم نومهم باكرا ويفضلون السهر مع

أصدقائهم على مواقع الإنترنيت لتجاذب أطراف الحديث وتتبع اللاعبين والبنات أهم المسلسلات وهذا أحد أوجه الثقافة الاستهلاكية ويجب محاربتها .

جدول رقم (06): يوضح مدى مواظبة التلاميذ على تحضير الدروس وحل الواجبات :

	ت	لا
نعم	30	%50
لا	10	16.66%
أحيانا	20	33.33%
المجموع	60	100%

يبين الجدول رقم (06) مستوى انضباط التلاميذ في حل الواجبات وتحضير الدرس بنسبة 50%وهو مؤشر جيد على إدراك التلاميذ لقيمة هاتين الوسيلتين المرتبطتين بنجاحهم وتعمل على تحسين مستوى دراستهم، في حين أوضحت نسبة 33,33%بأن فيه من الطلبة الذين في بعض الحيان يحضرون دروسهم وفي بعض الأخر لا وهي نسبة خطيرة ويجب وضع قواعد صارمة داخل القسم لتفادي مشاكل مستقبلية معهم والتي قد تكون سبب في رسوبهم ،خاصة وانه نسبة من لا يحضرون بشكل دائم ما نسبته 16.66 %.

جدول رقم (07): يفسر مدى تأثير الاهتمام بطريقة اللباس على المستوى الدراسي :

	ت	%
نعم	35	%58,33
لا	25	41.66%
المجموع	60	100%

بناءا على نتائج الجدول رقم (07)نستنتج أنه تأثير الاهتمام بطريقة اللباس ومستلزماته على الدراسة متقاربة حيث مثلت نسبة 58,33%الإجابة بنعم في حين مثلت نسبة 41,66%الإجابة على بلا ،فكما هو معلوم تعتبر مرحلة الثانوية مرحلة جد حساسة فالتلميذ هنا يكون يمر بمرحلة المراهقة التي تصحبها تغيرات فيزيولوجية وأخرى نفسية وطريقة اللباس تعمل على الجانب النفسي كثيرا .فما اوضحه لي بعض

التلاميذ انه اللباس الجديد وفق موضة الحالية يزيد من نسبة ثقتهم وفرحهم خاصة مع بداية الأسبوع .

جدول رقم (08): يبين فيما يستغل التلميذ فترة الراحة:

	ت	%
استعمال الهاتف	30	%50
متابعة شبكات التواصل الإج	10	16.66%
الحوارات	20	%3333.
المجموع	60	%100

تعد فترة الراحة من أهم الفترات للتلميذ لكي يتم الترويح على أنفسهم خاصة بعد ساعتين من الدراسة فيستغلها معظم التلاميذ في استعمال الهواتف بنسبة 50%، وهذا ما بينه المراقبين انه صعب جدا السيطرة على التلاميذ وهواتفهم فكل الأوقات فأغلبيتهم يستعملون الكيتمان لاستماع الأغاني وأثناء المراقبة يقولون بأنهم يستمعون للقران فهم يتهربون من تطبيق قانون منع الهاتف داخل الثانوية .وفيه من يقضي فترة الراحة في الحوارات فيما بينهم بنسبة33.33%أما البقية بما أنهم يصطحبون هواتفهم فهم يستغلون الراحة في متابعة قنوات التواصل الاجتماعي وخاصة منها الفايسبوك.

نتائج الدراسة : ما نستخلصه من هذه الدراسة الميدانية والتي أجريت في ثانوية سي الحواس – بسكرة – ما يلي:

- ✓ مثلت نسبة 83.33 %حضور الطلبة للنشيد الوطني وهو مؤشر جيد للحفاظ على أحد رموز الدولة وهويتها .
- ✓ معظم الطلبة يهتمون بلبس المئزر بالمنزل بنسبة 58.33%وهي نتيجة تدل على انضباطهم بالقانون الداخلي للمؤسسة .
- ✓ معظم التلاميذ يجلبون هواتفهم للثانوية وهو مامثلته نسبة 66.66 %وهي أحد تأثيرات الثقافة الاستهلاكية عليهم .

- ✓ يقضي التلاميذ عطلتهم على مستوى شبكات التواصل الاجتماعي بنسبة 41.66% ،هذا إن دل فإنما يدل على تأثير الثقافة الجماهيرية عليهم دون مراقبة فعلية من طرف الأولياء.
- ✓ مواظبة التلاميذ على النوم المبكر للحضور للمؤسسة في الوقت المحدد للدراسة بنسبة 75%.
- ✓ بينت نسبة 50%مواظبة التلاميذ على تحضير دروسهم رغم متابعتهم الشبه الدائمة للإنترنيت ومفرزاتها.
- ✓ اللباس يؤثر على نفسية التلميذ بنسبة 58.33%
- ✓ يقضي التلاميذ فترة الراحة بين استعمال الهاتف بنسبة 50%والحوارات بنسبة 33.33%

. خاتمة وإقتراحات الدراسة:

بناءا على ما تم عرضه في الدراسة نستنتج أن موضوع الثقافة الاستهلاكية وتأثيرها على المستويين الأخلاقي والعلمي ،من بين المواضيع التي لم تستهلك كثيرا من طرف الباحثين مركزين على جوانب تعليمية وأخرى بيداغوجية .متناسين العوامل الخارجية التي تؤثر على سيرورة المنظومة التربوية بشكل عام ،إذن من الضروري جدا الاهتمام بالعوامل الداخلية والخارجية المؤثرة على جانبهم التحصيلي العلمي والأخلاقي لكي تنجح الحياة الدراسية داخل المؤسسات التربوية على اختلاف أطوارها ومستوياتها وضرورة إدماج الأسرة وعدم إغفال دورها الفعال .

وما يمكن تقديمه ضمن التوصيات الخاصة بهذه الورقة تتلخص فيمايلي :

- إبراز الدور الفعال الذي تلعبه الأسرة في توعية أبنائها الصغار قبل الدخول في مرحلة الشباب والمراهقة، وهي توعية تدل على الحس الإيجابي في التنشئة الاجتماعية السليمة.
- توضيح أهمية الاتصال والتواصل بين أفراد الأسرة وأولادها من جهة، وضرورة التواصل الفعال بين المرشد الاجتماعي والتلاميذ، بعقد جلسات إرشادية يستفيد منها التلاميذ.

- دور مستشار التوجيه في تعزيز الدور التوعوي داخل المؤسسات بإرشاد التلاميذ من خلال تبصيره بطُرق استغلال التطور التكنولوجي بإيجابياته بدل اهتمامه بالقشور التي تسلُبه هويته وثقافته العربية الأصيلة.
- الحث على الحوار الأسري مع الشباب، وهو ما ينعكس بالإيجاب على تفهمهم لحياتهم الواقعية ومعايشتهم أحداثها بعيدا عن التخذير الذهني الذي يتعرض له.

. قائمة المراجع :

1. أحمد مجدي حجازي (2008)، **إشكالية الثقافة والمثقف**، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر

2. بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلاني (2004)، **منهجية العلوم الاجتماعية**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

3. جمال العيفة (2003)، **الثقافة الجماهيرية**، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر

4. حيدر إبراهيم (1999)، **العولمة وجدل الهوية الثقافية العولمة ظاهرة العصر**، مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 02، الكويت

5. سيف الاسلام شوية، (2006)، **سلوك المستهلك والمؤسسة الخدماتية**، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة.

6. صالح محمد علي أبو جادو (1998)، **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن.

7. طه عبد العاطي نجم (2005)، **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر

8. عبد الغني عماد (2006)، **سوسيولوجيا الثقافة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية**

9. عبد الكريم منصور ناصر قشلان (2010)، **دور معلمي المرحلة الثانوية في تعزيز القيم الإسلامية لدى طلابهم في محافظات غزة** ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير أصول التربية بكلية جامعة الأزهر ،غزة

10. قزية الشوفي (2005)، **الثقافة الهدامة والاعلام الأسود في هيروشيما إلى بغداد وفي خراب الروح إلى العالمية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

11. محمد عاطف غيث (1985)، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الأزريطة، مصر

12-De Besse, (1971), L'adolescence, Paris, P.U.F**MOSTAPHA BOUTEFNOUCHET** (1982): **La culture en réalité**, etudes culturelles societé nationale d'édition et de diffusion, Alger

14-Philippe Breton et autres, (1993), **L'exploision de la communication**, la naissance d'une nouvelle Idéologie, édition la dicouverte, Paris